اثر قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام) في الموروث الأدبي

د.حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة/جامعة الكوفة

الخلاصة

اثر القرآن الكريم في مجمل حياة العرب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فضلا عن الأمور الفكرية التي تهم حياتهم اليومية بشكل خاص ، والشعر كان ميدانا خصبا يتبارى فيه العرب لإظهار قدراتهم الفنية والبلاغية خاصة وأنهم امة بلاغة عرف عنهم فن القول الجميل والمؤثر .

أما عن فكرة هذا البحث فتقوم على معرفة الأثر الفني والموضوعي لواحد من أساليب القرآن الكريم ، يتمثل هذا الأسلوب في فن القصة القرآنية الشريفة ، وقد وقع الاختيار على قصة النبي إبراهيم الخليل (ع) لكون هذه القصة قد وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، وقد امتازت بتأثيرها الكبير في الموروث الأدبي العربي وقد حاولت تتبع الإشارات الموضوعية والفنية والتماس الأثر القرآني فيها ،ومحاولة كشف طبيعة هذا الأثر، من خلال تتبع هذه الإشارات في كتب الأدب العربي القديمة فضلا عن دواوين الشعراء .

وقد اقتضت طبيعة المادة أن تكون على مبحثين ، تناولت في المبحث الأول: الأثر الموضوعي ، أما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه الأثر الفني للقصة المباركة اما عن منهج البحث فقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن لغرض الوقوف على ابرز السمات والمسائل الفنية التي أثرت في الكتاب والشعراء ودفعتهم إلى توظيف النص القرآني المتعلق بقصة النبي إبراهيم الخليل (ع) .

ومن الجدير بالذكر ان البحث أشار إلى أهمية الرمز في هذه القصة فقد اخذ الرمز بعدا دلاليا ، مما شكل نقاط تحول كاملة في القصة ، وقد أعقبت هذا بخاتمة لخصت فيها ابرز النتائج التي توصلت إليها ، ولابد من الإشارة إلى إن مصادر الدراسة قد تنوعت من كتب الأدب العربي إلى كتب التفسير، فضلا عن كتب المعاجم والدراسات النقدية والبلاغية التي كان لها اهتمام بالقصة القرآنية.

المقدمة:

يعتبر موضوع القصة القرآنية من المواضيع الدراسية الخصبة نظرا لما تمتاز به القصة القرآنية من تعدد أسلوب وطريقة عرض ، فضلا عن تنوع الصور القرآنية ولاسيما في قصة نبي الله إبراهيم الخليل(ع) ، إن القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب، لما له من منهج متميز في قص القصص باللغة العربية ، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات ، بلغ هذا الفارق حد مابين الجد والهزل وما بين الحق والكذب[1].

ويزخر الأدب العربي بنتاج وافرٍ يستلهم من القصة أدواته وخيالاته ومداده ؛ ذلك لما للقصة من أثر واضح في نفوس الأدباء ، من هنا انقسم البحث على مبحثين تناولت في المبحث الأول :الأثر الموضوعي للقصة الشريفة ، وقد لاحظ الباحث تنوع هذا الأثر واختلافه من كاتب إلى آخر،أما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه الأثر الفني للقصة في النص الشعري وقد تعدد النموذج الشعري في سبيل الكشف عن أشكال الأثر الفني واختلافه من شاعر إلى آخر، أما عن منهج البحث فقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن لغرض الوقوف على ابرز المسائل الفنية التي أثرت في الكتاب

والشعراء ودفعتهم إلى توظيف النص القرآني المتعلق بقصة النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام)،وقد لاحظ الباحث أهمية الرمز في قصة الخليل اذ اخذ بعدا دلاليا مما شكل نقاط تحول كاملة في القصة ، وقد اعقبت هذا بخاتمة لخصت فيها ابرز النتائج التي توصلت اليها ، ولابد من الإشارة إلى ان مصادر الدراسة قد تنوعت من كتب الأدب العربي إلى كتب التفاسير فضلا عن الدراسات النقدية والبلاغية التي اهتمت بالقصة القرآنية ،وأخيرا الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على محمد الأمين وآل بيته الطاهرين.

تمهيد :

(منزلة إبراهيم الخليل عليه السلام)

إبراهيم الخليل (عليه السلام) هو أبو الأنبياء وثاني أولي العزم وخليل الرحمن قال سبحانه وتعالى" **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** "(٢).

وقد جاء في علل الشرائع مسندا إلى الرضا عليه السلام قال : "إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه لم يرُدّ أحدا قط ولم يسال أحدا غير الله عز وجل"(٣)، وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم"ما اتخذ الله إبراهيم خليلا إلا لإطعامه الطعام وصلواته بالليل والناس نيام وقال سبحانه وتعالى" **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** "(٤).

إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الأنبياء الأكبر من بعد نوح عليه السلام ، في أور الكلدانيين في العراق ، أما أبوه فهو "آزر" كما ورد في القرآن الكريم، وكان قوم إبراهيم عليه السلام الذين ولد فيهم يعبدون الكواكب السيارة والأصنام ، وقد دلت الآثار التي اكتشفت في العراق على صحة ما عرف في التاريخ من عبادتهم للأصنام الكثيرة ، كما ورد في القرآن الكريم ، حتى كاد يكون لكل منهم صنم خاص به سواء الأغنياء ام الفقراء منهم في ذلك.

وإبراهيم عليه السلام فيهم يرى صدّهم ويسمع كفرهم بالله وآياته ويشهد شركهم وهو مع ذلك دائب في التبليغ لا يثنيه كفر قومه(٥).

لا يمكن لأي باحث أن ينكر ما في القصص القرآني من أفكار ومعان كثيرة ، وتوجيهات وعظات بالغة الأهمية لكل ما جاء به الإسلام الحنيف من مبادئ وعقائد سامية، وردت في ثنايا هذه القصص وفي نهايتها والموروث الأدبي يتكون من فنون وأغراض شعرية متنوعة وكل غرض من هذه الأغراض له ما يحدد معانيه وأفكاره ، وعادة كان الكاتب حين يقدم على توظيف القصة القرآنية فانه ينتقي منها ما يناسب معاني تلك الأغراض وما يعزز أفكارها وأهدافها .

لقد تطرق كثير من الشعراء إلى معجزات القرآن ووصفوها بأنها من أعظم المعجزات حيث هدت البشرية إلى طريق النور، وفي كل فجر نتلوها بتمعن وإتقان فهي نعمة من أعظم النعم ومعجزة فاقت كل المعجزات.

ومن الجدير بالذكر أن الشعراء قد افادوا من قصة إبراهيم (عليه السلام) في توشيح أشعارهم ، مكتفين باللمحة الدالة القصيرة الهادفة تاركين لذهن القارئ ربط المثل بالقصة ليفهم المعنى الذي قصده الشاعر في إشارته أو استعارته لصورة من الصور المتعلقة بقصة النبي إبراهيم (عليه السلام) فقد كانت قصة إبراهيم الخليل (ع) من أكثر القصص القرآنية التي اشتملت على الإشارات الرمزية(٦).

فقد بدأت هذه الإشارات مع بداية الرحلة الأولى إذ أعلن الخليل انه ذاهب إلى ربه ليشفيه ويهديه إذ يقول " **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** "(٧) .

وبدأت مرحلة ثانية تمثلت الإشارة فيها إلى بناء البيت قال تعالى " **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** "(٨).

فبناء البيت يعني في حقيقته إسلام الظاهر أو ظاهر الإسلام ، وهو أول مراتب الإسلام الذي يعني توحيد الظاهر لله[٩].

حتى أن بعض الدارسين رأى أن سيرة المصطفى الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم)بتمامها تجسيد للرمز الإبراهيمي إذ انه اقتفى اثر الخليل في المفردات البارزة لمسيرته فكان من هاهنا كمالا لملّة إبراهيم [١٠].

والمباحث الآتية تحاول التعرف على طبيعة الأثر الموضوعي للقصة، فضلا عن الأثر الفني.

المبحث الأول : الأثر الموضوعي:

ويحاول هذا المبحث أن يسلط الضوء على طبيعة تعامل الكتاب مع القصة ومعرفة السبب الذي يدفع الكاتب لأخذ هذه القصة دون غيرها ، فضلا عن معرفة العلاقة بين القصة وطبيعة الموضوع الذي سخرت له القصة،ولماذا تأثر الكاتب بالقصة.

والحديث عن الديانة الحنيفية قديم فقد ذكر الدكتور جواد على إن الأحناف هم شريحة من العرب كانوا على دين النبي إبراهيم (ع)، وهم ليسوا من اليهود أو النصارى ، وقد نسب إليهم تحريم الخمر على أنفسهم ، والنظر والتأمل في خلق الله تعالى ، ونسبوا إليهم أداء شعائر الحج [١١].

يبدو أن الحنفية أثرت في المظاهر الاجتماعية والأدبية قبل الإسلام وقد برز ذلك في الشعر بشكل جلي ، إذ يلاحظ من خلال هذا الشعر ، أن الإسلام لم يكن قد أتى مفاجأة، بلا إرهاصات ،أو مقدمات دينية، إذ كان شعرها يمثل تلك الإرهاصات في أواخر العصر الجاهلي ،كشعر زيد بن عمرو بن نفيل[١٢] ،وأمية بن أبي الصلت الثقفي ، ولبيد العامري ، وزهير بن أبي سلمى[١٣].

ومن الأمثلة التي تشير إلى تسلسل النبوة من هود وصالح إلى موسى وإبراهيم ثم إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي منسوبة إلى ورقة بن نوفل وكما أورد صاحب كتاب بلوغ الأرب والأبيات هي :

أتبكر أم أنتَ العشيّة رائحُ وفي الصَدر مِن إضْمارِكَ الحزنَ قادحُ
وظنّي بِه أن سوف يُبعث صادقاً كَما أرسلَ العبدانِ هودُ وصالحُ
وَموسى وإبراهيمُ حَتى يُرى لَه بَهاءُ ومنشورُ من الذّكر واضحُ[١٤]

لقد كان القرآن الكريم هو المشعل الأكبر الذي عم نوره شبه جزيرة العرب أولا ، ثم انطلق بعد ذلك في أنحاء المعمورة ، انه كلام الله الذي انزل على نبيه الكريم هدى ونور للناس كافة ، وقد وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب الله فقال " كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل الذي ليس بالهزل ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرّد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم"[١٥].

ومن الجدير بالذكر أن طبيعة تعامل الكتاب مع القصة اختلفت بين الكتاب القدامى وكان تأثيرها يختلف من كاتب إلى آخر كل بحسب ثقافته وتوجهه الفكري ، فنجد إن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تطرق إلى ذكر هذه القصة في رسائله ،متحدثا عن سبب تسمية إبراهيم عليه السلام بالخليل،يقول"وإنما الخليل في هذا الموضع من الخلة والاختلال ، لا من الخلة والخلال ، وكان إبراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلا أضافه الله إلى نفسه ، وأبانه بذلك عن سائر أوليائه ، فسماه خليل الله من بين الأنبياء ، كما سمى الكعبة : بيت الله من بين جمع البيوت"[١٦].

نلاحظ أن هدف الجاحظ هو: تنزيه الباري ودفع الشبهات أي يريد القول أن الباري عز وجل منزه عن كل الشبهات وان كل شيء يعظمه الله سبحانه وتعالى يكون هذا حاله ومصيره اى من ناحية الخير والشر والثواب والعقاب.

واهتم ثعلب الكوفي (ت٢٩١هـ)بالجانب اللغوي والدلالي في تسمية فرعون ومصدر هذه التسمية يقول" وفرعون اخذ من الفرعون الرجل إذا بلغ الغاية من العتوه وإذا تمرد سمي نمرودا ، ونمروذ بالذال وأهل البصرة يقولون نمرود بالدال "[٢٧] .

أما ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) فقد تناول القصة الشريفة من جانب آخر تمثل في شدة الاختبار الذي وضع الله سبحانه وتعالى إبراهيم الخليل فيه وانه واجه اختبارا صعبا للغاية ، وقد اثبت النبي الشاب مدى ثباته أمام هذه النار الضخمة التي سجروها وأحاطوها بسياج مرتفع ، وجمعوا لها من الوقود الكثير ، ويوضح النبي الواثق المطمئن على مسافة من السنة النار في منجنيق ، وهذا النبي كان معه سلاح الدعاء والتضرع إلى الله ، واستجاب الله لعبده الصادق دعاءه فكانت المعجزة" **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ،وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**"[١٨].

أما أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ) فقد تعامل مع القصة من جانب لغوي مبينا الإعجاز اللغوي المجود في ثنايا القصة من خلال حديثه عن لفظة (تلّ) الواردة في قوله تعالى " **وتله للجبين**"[١٩]،قال التوحيدي"وأما التل فمصدر تله يتله إذا صرعه وفي الكتاب المعجز"وتلّه للجبين"[٢٠].

افتتن أدباء العرب بأسلوب القرآن ونظمه المحكم واجمعوا على الاقبال عليه قديما وحديثا ، ولا عجب فان العبارة منه او الكلمة يقتبسها الاديب تشع في سماء كلامه كالكوكب الساطع .

أما ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) فقد سلط الضوء على جانب آخر من قصة إبراهيم يتمثل هذا الجانب في قصة رؤيا إبراهيم (ع) لذبح ابنه ، فهو بعد أن يورد الآية المباركة يعلق عليها بقوله :

"قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده ، وقد يكون استئنافا بذكره بعد ذكر إسماعيل عليه السلام وذبحه ، والتأويل متجاذب بين هذين الأمرين ، ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ، ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام"[٢١].

لقد كان موقف النبي إبراهيم (ع) خير مصداق للعبودية الذي ازدهر على يد الخليل انه تشخيص للتضحية بأعز حبيب تلبية لنداء الله عزّ وجل.

أما النويري (ت٧٣٣هـ) فقد ركز الحديث على حادثة تكسير الأصنام ،قال :" وكان لأهل كوثريا عيد يخرجون إليه في كل سنة ، فيعبدون هناك أياما وكان بعيدا من البلد ، فلما حضر ذلك العيد قال تارح لإبراهيم :اخرج معنا إلى عيدنا ،فقال أني سقيم" يعني لعبادتكم الأصنام " [٢٢].

فالكاتب هنا يشير إلى أن الناس قد أقاموا في ذلك الوقت طائفة كبيرة من الأصنام والأوثان للعبادة والتقديس وقدموا لها الأضاحي والقرابين ، وفي اعتقادهم ان هذه الأوثان أرباب للناس تتصرف في أمورهم وهي لهم مصدر الخصب والرزق والحياة ، إلا أن نبي الله إبراهيم الخليل كسر هذه القاعدة وحطم هذه الأصنام التي لاتنفع شيئا وأعلن براءته مما يشركون ، حتى لفت إليه الأنظار بما يملك من جرأة وشجاعة ، ومن مصارحة في الحق نادرة المثال[٢٣] .

أما ابن قيم الجوزية(٧٥١هـ) فقد تناول القصة من جانب آخر تمثل في علاقة سارة بزوجها إبراهيم (ع) فهو يتحدث عن الغيرة وأنواع الغيرة التي تصيب البشر مصنفا إياها إلى غيرة يحبها الله وهي أن يغار المرء أن يأتي معاصي الله ، وينتهك محارمه ، والغيرة التي يكرهها الله هي أن يغار أحدكم في غير كنهه [٢٤] .

أما الابشيهي (ت٨٥٤هـ) فقد ذكر في كتابه (المستطرف) أن النبي إبراهيم (عليه السلام)امتاز بالصبر والقدرة على تحمل الصعاب مصورا هذا الصبر والتحمل من خلال قوله"فنزل إليه جبريل عليه السلام وقال يا إبراهيم ألك حاجة ، قال :أما إليك فلا ، فقال ، سل ، فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي ، فقال الله تعالى"سلاما على إبراهيم"[٢٥].

لقد تكرر اسم ابراهيم الخليل في الكتب السماوية ، ففي القرآن المجيد مايقرب من سبعين موردا[٢٦]، وهو الذي دعا الى عبادة الاله الواحد الأحد القيوم خالق السموات والأرض ، فلقي ما لاقاه من قومه المشركين يقول عنه السيد عبد الأعلى " وكان من انقطاعه الى رب العالمين ، ما اوجب تحير الملائكة فيه أجمعين، وكان من بذل نفسه للرحمن وماله للضيفان ، وولده للقربان ، ان اتّخذه الله تعالى خليلا لنفسه ، واراه ملكوت السموات والأرض ، وجعل النبوة والحكمة والملك العظيم في ذريّته ، وفدى ولده بذبح عظيم "[٢٧] .

أما صاحب كتاب (الروض المعطار في خبرالأقطار)(ت٩٠٠هـ) فقد تناول جانب بناء النبي إبراهيم الخليل لأول بيت وضع للناس يقول "أمر الله تعالى إبراهيم خليله وإسماعيل نبيه عليهما الصلاة و السلام ان يعيدا بناء الكعبة على أسسه الأول ، فأعادا بناءها لما أراد الله تعالى من تكرمة قريش ، كما انزل الله تعالى في القرآن فقال عز وجل " **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** "[٢٨] ثم أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام ان ينزل ابنه إسماعيل بالبيت لما أراد من كرامة قريش ففعل " [٢٩].

أي أن بناء البيت لم يكن مجرد وضع حجر على حجر وإبراهيم وإسماعيل يقدران قيمة ماينجزان ، فهو بيت الله العتيق ، وحرم الله الآمن ، وقبلة المؤمنين ، وبناؤه تأسيس لأمر عظيم ، إنهما " يرفعان صرح عقيدة التوحيد ويبنيان أسس الإسلام"[٣٠].

ومن الجدير بالذكر أن أساليب الشعراء في التعامل مع قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام) اختلفت ، ويبدو أن هذا الاختلاف ضرورة حتمية اتفق عليها النقاد ، وقد فصل فيه القول حازم القرطاجني بقوله" فطريقة المدح يجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف وإعطاء كل حقه من ذلك ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة فخمة وان يكون نظمه متينا ، وان تكون فيه عذوبة ، فأما الغزل فيحتاج ان يكون عذب الألفاظ حسن السبك ، حلو المعاني أما الرثاء فيجب ان يكون شاجي الأقاويل مبكي المعاني ، مثيرا للتباريح ... فملاك الأمر فيها التلطف والإثلاج إلى المعنى بها بالطريق التي يراها الشاعر مناسبة ومؤثرة "[٣١] .

المبحث الثاني : الأثر الفني :

تأثر الشعراء منذ القدم بقصة النبي إبراهيم (ع) فقد ورد في ديوان الشاعر أمية بن أبي الصلت قوله:

وَلِإبراهيمَ المُوَفّي بِنَذرٍ ... إِحتِساباً وَحامِلَ الأَجزالِ
بِكرَهُ لَم يَكُن لِيَصبِرَ عَنهُ ... لَو رَآهُ في مَعشَرٍ اَقتالِ
أَبُنَيَّ إِنّي نَذَرتُكَ لِلَّهِ شَحيطاً ... فَاِصبِر فِدىً لَكَ حالي
أَجابَ الغُلامُ أَن قالَ فيهِ ... كُلُّ شَيءٍ لِلَّهِ غَيرُ اِنتِحالِ
أَبُتي إِنَّني جَزَيتُكَ بِاللَهِ تَقيّاً ... بِهِ عَلى كُلِ حالِ
فَاِقضِ ما قَد نَذَرتَ لِلَّهِ وَاكفُف ... عَن دَمي أَن يَمَسَّهُ سِربالي [٣٢]

لقد لخص الشاعر حكاية إبراهيم الخليل مع ولده إسماعيل بطريقة السرد المباشر التقريري مصورا امتثاله لأمر الله عز وجل في ذبح ولده وامتاز أسلوبه الشعري بالإيجاز وسهولة الألفاظ.

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الديانة الحنيفية أثرت في المظاهر الاجتماعية والأدبية قبل الإسلام[٣٣]، وقد برز ذلك في الشعر بشكل جلي ، اذ يلاحظ من خلال هذا الشعر إن الإسلام لم يكن قد أتى مفاجأة بلا إرهاصات او مقدمات دينية ، اذ كان شعرهما يمثل تلك الإرهاصات في أواخر العصر الجاهلي ، كشعر زيد بن عمرو بن نفيل ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي ولبيد العامري وزهير

بن أبي سلمى وغيرهم من المتحنفين[٣٤]،ومن الإشارات القديمة التي وردت في الشعر وهي نتيجة لأثر الديانة الحنيفية قول ورقة في أبيات تنسب إليه :(من الطويل)

أتبكـــــر أم أنْـــتَ العَشـــيّة رائـــحُ وفي الصَـدْر مِـنْ إضْـمارِكَ الحـزنُ قـادحُ
وظنـــي بـــه أن ســـوف يبعـــث صـــادقاً كمـــا أرسَـــلَ العَبْـــدان هُـــود وَصَـــالحُ
ومُوســـى وإبـــراهيمَ حتـــى يـــرى لَـــهُ بَهـــاء ومَنْشـــورُ مِـــنَ الـــذّكر واضـــحُ[٣٥]

فضلا عن هذا تأثر الشاعر أمية بن أبي الصلت بما امتاز به النبي إبراهيم (ع) في مثال الطاعة والصبر في قصيدة تنسب إليه اذكر منها قوله:

ولِـــــإبراهيمَ المـــــوَّفي بنَـــــذرٍ اِحتِســـــاباً وَحامِـــــلَ الأجـــــزالِ
بكـــرَهُ لَـــم يَكُـــن ليَصـــبرَ عَنـــهُ لَـــو رآهُ فـــي مَعشَـــرٍ اَقتـــالِ
أبُنَـــيَّ إنّـــي نَـــذَرتُكَ لِلَّـــهِ شَـــحيطاً فاِصـــبر فِـــدىً لَـــكَ حـــالي
أجـــابَ الغُـــلامُ أن قـــالَ فيـــهِ كُـــلُّ شَـــيءٍ لِلَّـــهِ غَيـــرُ اِنتِحـــالِ
أبتـــي إنّنـــي جَزَيتُـــك بِـــالله تقيـــا بِـــه عَلـــى كُـــلّ حَـــالِ
فـــاِقضِ مـــا قـــد نَـــذَرتَ لِلَّـــهِ وَاَكفُـــف عَـــن دَمـــي أن يَمَسَّـــهُ سِـــربالي [٣٦]

ويواصل الشاعر سرد قصيدته الى أن يظهر الكبش في قوله:

بَينمـــا يَخْلَـــع السّـــرابيل عَنـــه فَكَّـــه رَبّـــه بِكَـــبش حَـــلال
قـــالَ خُـــذه وَأرســـل ابْنَـــك انّـــي للـــذي قـــد فعلتمـــا غَيـــر قـــال[٣٧]

إن قصة النبي إبراهيم تحمل في طياتها أحداثا تتصل أبرزها بالجانب الفكري ومجادلة النفس وهو صبي ، للوصول الى حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد في تأملات ذكرها القرآن الكريم" **وَكَـذَلِكَ نُري إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** " [٣٨].

وقد ذهب الدكتور طه حسين إلى أن تلك الأخبار التي وردت في الشعر لم تكن مجهولة قبل ان يأتي بها القرآن ، إذ أن كثيرا منها كان معروفا عند اليهود ، وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم[٣٩].

والتمس الدكتور كامل فرحان في تلك الإرهاصات الدينية أن العرب كانوا مهيئين وجدانيا لحمل هذه الدعوة الإسلامية [٤٠].

وفي قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) يذكر القرآن خبر ضيوفه الذين أكرمهم وأحسن ضيافتهم فقال تبارك وتعالى" **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ، إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ، فَرَاغَ إلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ** " [٤١].

وقد استعار أبو تمام معنى هذه الآيات عندما قال مادحا : (من الكامل)

لِلجـــودِ سَـــهمٌ فـــي المَكـــارِمِ وَالتُقـــى مـــا رَبُـــهُ المُكـــدي وَلا المَســـهومُ؟
بَيـــانُ ذَلـــكَ أنَّ أوَّلَ مَـــن حَبـــا وَقـــرى خَليـــلُ اللَـــهِ إبـــراهيمُ
أعطيتَنـــي دِيَـــةَ القَتيـــلِ وَلَـــيسَ لـــي عَقـــلٌ وَلا حَـــقٌّ عَلَيـــكَ قَـــديمُ [٤٢]

لقد نجح الشاعر في عقد مقارنة بين كرم النبي ابراهيم الخليل (ع) وكرم ممدوحه من خلال طريق التشبيه باللمحة الدالة في اشارة من الشاعر الى ان الصلة القديمة المتمثلة بكرم الاجداد لا تنقطع وانها السبب في ما ورثته من كرم عند من جاءوا بعده من احفاد من خلال سهم الجود الضارب طويلا في عمق التاريخ كانما الشاعر يريد القول ليس عجيبا ان يمتاز الممدوح بصفة الكرم فقد كان اجداده وعلى راسهم الخليل اهل كرم .

نلاحظ الوعي الديني والقدرة على توظيف النصوص بشكل يؤدي الغرض أي أن الشعر يختزن كما من الصور والألفاظ التي اخذ أكثرها من القصة القرآنية المباركة.

قال تعالى"**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** "(٤٣).

ومن المعاني التي تضمنتها قصة إبراهيم الخليل –عليه السلم– الدعاء بالخير والبركة على ساكني البيت الحرام ،وإكرام الضيف ،ومعجزة نار الخليل ، وقد وضّفت هذه المعجزة في اغلب أغراض الشعر كالغزل والوصف والحنين والعتاب " ولكنها في كل غرض تعطي معنى جديدا"(٤٤).

لقد ضمن بعض الشعراء كثيرا من قصة إبراهيم في قصائده واستفاد منها في سرد القصة وربطها بالقصة القرآنية كما وعدها الكثير منهم ملهما لهم لالتقاط صور اجتماعية في الصبر والإيمان والنضال من اجل العقيدة.

واتخذت نار إبراهيم نموذجا للتشبيه في موضوعات متعددة منها الحب والعلاقة بين المحبين يقول الشاعر:(من الطويل)

وَمَا نَارُ إبراهيمَ إلّا كَجَمرَةٍ مِنَ الجمرِ اللاّتي خَبَتهَا الأضَالِعُ

فنار إبراهيم ما هي إلا جمرة من الجمرات التي تكمن تحت الضلوع لشدة الفراق ووصف لوعته وما يحدث داخل النفس من حرارة الشوق.

ومن الشعراء من ربط بين لفظة الخليل وقضية النار التي أعدها الكفار له،وقد كان موضوع الربط هو إن بعض حساد الشاعر حاولوا الإيقاع بينه وبين الأمير والشاعر هو ابن اللبانة الداني جاء هذا في قوله: (من المتقارب)

لقد أوقدوا لي نيرانَهُم فصيّرني الله فِيهَا الخَلِيلا(٤٥)

نلاحظ أن الشاعر أضفى على بيته صفة المبالغة واستطاع ان يؤثر من خلال تصويره لجمع من الحساد والاعداء وهم اوقدوا نيرانهم وهو تعبير مجازي فالنار لاتوقد انما الذي يوقد هو الحطب، ومن ثم لم تكن هناك نار واحدة انما كانت نيران مقابل تشبيه نفسه بالخليل بقدرة الله عز وجل وذلك من باب التيمن بالنبي عليه السلام، وهنا تكمن براعة الشاعر قي الايجاز وهو فن امتاز به الشاعر العربي اذ لخص حكاية ابراهيم (ع) بهذا البيت على ان القصة تعتمد على محورين هما محور النار ومحور المعجزة.

ومن الباحثين من رأى أن لفظة الخليل هنا توحي بالأمان والاطمئنان ونبذ الخوف من نيران تلك العداوة لأنها سرعان ما تبرد وتخمد لان الشاعر يفهم أسباب اشتعال تلك النار ويفهم كيف يمنعها من الوصول إليه(٤٦).

ومن الشعراء من وظف نار إبراهيم في باب الدعاء بان يبرد الله فؤاده كما برد نار إبراهيم في قوله تعالى" **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**" (٤٧).

جاء هذا في قول بهاء الدين الرواسي: (من البسيط)

يا مُبرداً نَار إبراهيمَ خُذ بيدي وَزِد فُؤادي بثلج اللُّطف إيمانا(٤٨)

فالشاعر يدعو الباري عز وجل أن يجعل من فؤاده ساكنا مستقرا بلطف الإيمان كما برد نار إبراهيم بمعجزته ومنه وقدرته.

أما الشاعر ابن الفارض فقد تصور نار إبراهيم من جانب آخر يتمثل بان النبي إبراهيم بقدرة الباري اخمد نار عدوه كيف بان كانت النار بردا وسلاما على الرغم من شدة اشتعال هذه النار ولهيبها الحارق إلا أنها لم تستطع ان تتغلب على نور النبي ذلك النور الرباني الذي سطع فغطى على النار حتى عادت له روض جنة

وذلك في قوله : (من الطويل)

وأخْمَـــدَ إبـــراهيمُ نـــارَ عـــدُوّهِ وعَـــن نـــورهِ عـــادت لـــه رَوْضَ جنَّـــةً[٤٩]

وهي كناية عن منزلة الأنبياء الرفيعة التي جاءت نتيجة صدق وإخلاص وشدة الإيمان بالله.

فضلا عن هذا وظف الشعراء نار إبراهيم في غرض الوصف فقد قال عامر بن مسلمة (ت٥١١هـ) في الوصف وقد وصف ليلة طويلة ثابتة النجوم هناك ظلامها بضوء ينبعث من الخمر ووجوه الحسان وقد بدت من بين تلك الأضواء خمرة في كأسها تحكي نار إبراهيم في برودتها ولهيبها الساطع : (من الرمل)

ربّ ليـــلٍ طـــال لا صُـــبح لـــه ذي نجـــومٍ أقســـمَت ان لا تغـــور
قـــدْ هَتكنـــا جنحـــه مـــن فلـــقٍ مـــن خمـــورٍ ووجـــوهٍ كالـــبدُور
إذ بـــدت تُشْـــبهُها فـــي كَأسِـــها نَار إبـــراهِيم فـــي بَـــردٍ ونَـــور[٥٠]

ويعد ابن المعتز(ت٢٩٦هـ) من الشعراء الذين وظفوا قضية نار إبراهيم وانتقلوا بالدلالة إلى معنى آخر وصفات أخرى وذلك في وصفه إذ قال : (من الطويل)

وَمَشـــمولَةٍ قـــد طـــالَ بـــالقفصِ حَبسُـــها حكَت نـــارَ إبـــراهيمَ فـــي اللّـــونِ وَالبَـــردِ [٥١]

لقد رسم الشاعر صورة يمتزج فيها اللون بالحركة تثير المشاعر وتدفع إلى التأمل في أجزائها فصفة الخمر القدم وهي تشبه نار إبراهيم من شدة لهيبها اللاذع فقد استعمله الشاعر لغرض إدخال جانب من قصة إبراهيم إلى شعره من خلال التلميح.

أما الشاعر ابن غليون الصوري فقد شبه عزيمة ممدوحة بالنار التي تحاول ان تحاكي نار إبراهيم من جهة شدة السطوع واللهيب فالشاعر يريد ان يصور شدة عزيمة الممدوح فلم يجد تشبيها لها الا بنار إبراهيم التي جمع لها الكثير حتى صارت بهذه الدرجة العالية من المساعر جاء هذا في قوله: (من الطويل)

أنـــارَت لإبـــراهيمَ نـــارَ عزيمـــةٍ حكَـــت نـــارَ إبـــراهيمَ ذاتَ المَســـاعِرِ [٥٢]

فالشاعر استطاع أن يستفاد من اسم ممدوحة (إبراهيم) ليوظفه في خدمة النص الشعري ، ولم يجد أكثر تأثيرا من معجزة النبي إبراهيم (عليه السلام) المتمثلة بالنار ليوظفها في خدمة نصه مستفيدا من تشابه الأسماء(وقد اصطلح عليه عند اهل البلاغة بفن الجناس).

أما الشاعر ابن زيدون فقد جاء بنار إبراهيم (ع) في موضوع الشكوى والعتاب عندما كان في سجنه ،فيقول : (من الخفيف)

سَـــقمٌ لا أعـــادُ فـــي وَفـــي العائِـــدِ أنـــسٌ يَفـــي ببُـــرءِ السَقيـــمِ
نـــارُ بَغـــي سَـــرى إلـــى جَنَّـــةِ الأمـــنِ لَظاهـــا فأصـــبَحَت كَالصَـــريمِ
بـــأبي أنـــتَ إن تَشَـــأ تَـــكُ بَـــرداً وَسَـــلاماً كَنـــارِ إبـــراهيمِ [٥٣]

وقد تساءل الدكتور محمد شهاب العاني مستنكرا أن نار المحنة التي مر بها ابن زيدون في سجنه يستطيع ابن جهور أن يجعلها بردا وسلاما كنار إبراهيم[٥٤].

وفي جانب آخر وظف بعض الشعراء جزءا من قصة إبراهيم على سبيل المثال اخذ ابن الرومي قصة إسماعيل ليستفيد منها في غرض المديح قال: (من الخفيف)

يَـــا سَـــميَّ الصّـــدوق فـــي الوَعـــد إســـما عيـــلَ أنّـــى يكـــون إلا صَـــدوقا [٥٥]

فالشاعر يعرف أن الممدوح يرغب في أن يضفي عليه الشاعر بعض الصفات المعنوية المأخوذة من القرآن الكريم فإسماعيل سمي الصدوق في الوعد وتلك كرامة مابعدها كرامة ، وبما انه جاء من الصدوق إذا تكون النتيجة صدوقا.

وفي موضع آخر من ديوانه[٥٦] يذكر ابن الرومي أن إسماعيل جاء بالعلا للعرب وكان شرفا ومفخرة لهم،فرمز العلا مقترن باسمه وقد كانت هذه المزية نتيجة للتضحيات والتفاني في حب الذات الالاهية.

ومن الشعراء من استفاد من قضية بناء البيت ووضع القواعد ليأخذ جانبا من هذه القصة ويوظفه في شعره جاء هذا في قول ابن حجر العسقلاني : (من الطويل)

وَيَرفَعُ للعليا قواعِد بيته وَمن شأن إسماعيلَ رفعُ القواعِدِ[٥٧]

لقد استفاد الشعراء من الصور التي وردت في سياق القصص القرآني وخاصة قصة إبراهيم الخليل(ع) مشيرين الى جانب من جوانب القصة التي تفي بمرادهم ، وتؤدي الغرض المعنوي الذي قصدوه ، يقول ابن المعتز: (من الرجز)

مَصنوعَةٍ بِكُفرٍ بُختَ نَصَّرٍ وَكُفرِ نَمرودٍ إمامِ الكُفَّرِ [٥٨]

نلاحظ هيمنة القرآن الكريم وتأثيره الكبير في لغة الشعر ، فالشاعر هنا يذكر صورة الطاغية نمرود ويقرن هذا التكبر بالكفر.

ومن الشعراء من صور بئر زمزم وحاول ان يربط بين الماضي والحاضر من خلال هذه الواقعة المهمة ، يقول خويلد بن أسد حين حفر عبد المطلب (ت٥٧٨هـ) البئر ، وهو يحيل الى أصل زمزم :

أقول وما قولي عليّ بهين إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة يوم كان فيه ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم[٥٩]

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الوعي بالعمق الديني لم يكن عابرا عند هذه الفئة من العرب ، فشعرها يختزن كمّا خصبا من الصور والألفاظ والقصص[٦٠].

ومن الشعراء من وظف قصة إبراهيم في باب معاتبة الإخوان والأصدقاء ، يقول ابن حزم :

يَقُول أخِي شَجاكَ رَحيل جسمٍ وَروحَك مَالَه عنّا رَحيل
فقلتُ لَهُ المُعاين مُطمئنّ لِذا طلب المُعاينَة الخَليل[٦١]

فالشاعر هنا يريد أن يطمئن القلب إلى ذلك الحب وان القلب والجسم يكونان في تلك الصورة ويحتج بطلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى على الرغم من انه مطمئن إلى قدرة الله تعالى في ذلك قال عز وجل " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** "[٦٢].

ومن الباحثين من لاحظ ان بعض الشعراء وظف حادثة إكرام النبي إبراهيم لضيوفه وهم من الملائكة في قوله تعالى " **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** "[٦٣].

فالشاعر ابن دراج عندما يمدح على بن حمود يشبه كرمه بكرم إبراهيم الذي يرجع نسبه إليه فيقول : (من المتقارب)

سلامٌ وأنتَ ابنُ بَدْءِ السَّلامِ مِنْ ضيفِهِ المكرَمِينَ الدُّخولِ
غَدَاةَ يُضيِّفُ أهْلَ السَّماءِ إلَى منزلٍ آلِفٍ للنَّزيلِ
فَرَدَّ سَلامَ حَليمٍ مُنيبٍ وجاءَ بعِجْلٍ كريمٍ عَجولِ
شرائِعُ خَلَّدَها فِي الأنَامِ مِن كُلِّ أرْضٍ وَفِي كلِّ جيلِ [٦٤]

قال مجاهد في قوله تعالى (ضيف الله المكرمين) قال قيامه عليهم بنفسه[٦٥].

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر أبو تمام قد اقتبس من هذه الآيات الكريمة في قوله مادحا:(من الكامل)

لِلجودِ سَهمٌ فِي المَكارِمِ وَالتُقى ما رَبُّهُ المُكدي وَلا المَسهومُ
بَيانُ ذَلِكَ أنَّ أوَّلَ مَن حَبا وَقرى خَليلُ اللَهِ إبراهيمُ

أعطيتنـــي ديـــة القتيـــل ولـــيس لـــي عقـــل ولا حـــق عليـــك قـــديم[٦٦]

فالشاعر هنا يشير إلى خبر ضيوف النبي إبراهيم(ع) الذين أكرمهم وأحسن ضيافتهم،إذا اخذ القرآن مكان الصدارة بصفة كونه النص الأدبي الأول لهذه الأمة والكتاب المبين المعجز ، هذا إلى كونه وحي السماء وأساس التشريع والقانون المنظم للسلوك ، والمرشد الموجه إلى معالي الأمور.

ومن الجدير بالذكر أن اغلب الشعراء ،استطاع أن يوظف قصة بناء الخليل للكعبة المشرفة ،ووضع قواعد البيت العتيد ،يقول ابن حجر العسقلاني: (من الطويل)

ويَرفـــعُ للعليـــا قواعِـــد بيتـــه ومَـــن شـــأن إســـماعيلَ رفـــعُ القواعِـــدِ[٦٧]

فالإشارة إلى أمر الله تبارك وتعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ببنـاء البيـت الحـرام – الكعبة– وبوأه الله مكانة أي أرشده إليه ودله عليه ، وتمت عملية البناء بمسـاعدة إسـماعيل لأبيـه ، فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ،قال تعالى" **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** "[٦٨].

وقد عبر عن هذه الحادثة المهمة ابن الرومي في قوله: (من البسيط)

ويَرفـــعُ للعليـــا قواعِـــد بيتـــه ومَـــن شـــأن إســـماعيلَ رفـــعُ القواعِـــدِ[٦٩]

شَـــاد الأمُـــور الّتـــي وَلاه بنيتهـــا علـــى قواعـــد إتقـــان وإحكـــام[٧٠]

شاد الأمور هو تعبير مجازي فضلا عن ان كلمة القواعد توحي بالقوة والثبات وهي كناية عن رسوخ الامر وثبوته اشبه بثبوت القواعد التي وضعها الخليل بامر من الله سبحانه وتعالى ، لقد حاول الشاعر توظيف هذه القصة بالشكل الذي يخدم الغرض الشعري لان إبراهيم الخليل(ع) بنى اشرف المساجد في اشرف البقاع في واد غير ذي زرع ، ودعا لأهلها بالبركة وان يرزقوا من الثمرات ، والأشجار والزرع وان يجعله الله حرما آمنا .

فضلا عن هذا تطرق الشاعر ابن نباته إلى هذه المسالة في قوله: (من البسيط)

شـــادت عـــزائم إســـماعيلَ فاتَّصـــلت قواعـــدُ البيـــتِ ذي العليـــاء والرُّتـــب [٧١]

نلاحظ أن الشاعر استفاد من قوة وصبر الممدوح المتمثل بـ (إسماعيل) فكانت ثمرة هذه العزيمة البيت ذي العلياء والرتب، فهذا البيت حصيلة الجد والمثابرة والدعم الالاهي ، فكانت جهودا متصلة لا انقطاع لها ، فقد وظف الشعراء هذا المعنى في أغراض متنوعة منها الشكوى فقد اتخذوا من رباطة جأش الممدوح والصبر على البلوى اللذين تحلى بهما النبي إبراهيم عليه السلام.

ومن الجدير بالذكر ان الشعراء تأثروا كثيرا بما يتحلى به الأنبياء من شخصية مثالية اثر فيها القرآن كثيرا ،ومن الشعراء من استفاد من إشارة القرآن الكريم الى نزول النبي وذريته في واد غير ذي زرع في قوله تعالى" **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** "[٧٢].

إذ أن الشعراء تأثروا بهذا الجانب من القصة واخذوا يوظفون ذلك في نصهم الشعري يقول ابن دراج القسطيلي :(من الطويل)

وإن أخصَـــبَتْ فِـــي زَرْع نعمـــاكَ رَعْيَهـــا فكَـــمْ قـــدْ تخطَّـــتْ ودِيـــاً غَيْـــرَ ذي زَرْع [٧٣]

فإشارة الشاعر هنا الى هجرة النبي إبراهيم مع رفيقة دربه سارة ، فهي شريكة مسيرة عقيدة ،قاطعا الفيافي والقفار عبر الصحاري وما الهجرة إلا كفاح وعناء ، وما أصعبها إذا كان وراءها تربية وإعداد وبناء إنساني ، أما الشاعر الشريف العقيلي فيقول: (من السريع)

مَـــن حَـــلَّ مِنّـــا بِفَنـــاءٍ لَـــهُ حَـــلَّ بـــوادٍ غَيـــرَ ذي زَرع [٧٤]

نلاحظ كيف أن الشاعر انتقل بدلالة الآية المباركة إلى غرض الهجاء ووصف فناء الشخص فالشاعر هنا يترك حرية التصور للمتلقي أي يفتح آفاق التخييل عند السامع واد غير ذي زرع أي المقصود حالة البؤس والعدم التي كان عليها ذلك الفناء .

أما الشاعر بهاء الدين زهير فقد قال : (من الطويل)

سَـــأدعو عَلـــى الجُـــردِ الجِيـــادِ لِأنَّهـــا سَـــرَت فأتَـــت بـــي واديـــاً غَيـــرَ ذي زَرع[٧٥]

لقد استفاد الشاعر من الصورة الفنية التي يعطيها التركيب "واديا غير ذي زرع" فـرأى فـي النص القرآني رسالة السماء التي أنقذت البشرية من مهاوي الضلال فقصة إبراهيم من القصص التي تشعبت معانيها في شتى الأغراض والمجالات، ففي المديح وظف الشعراء معنى طاعة إبراهيم وحسن تصرف النبي وصبره على المشركين لتنتقل تلك الدلالات الى الممدوح في حالة المديح ، أمـا فـي حالة الهجاء فكان الشاعر يصور الجانب المظلم من القصة المتمثل بمعاناة النبي وأهل بيته لهـذا يلتقط الشاعر صورة الوادي المجدب القفر ، ليقابل بين هذه الصورة وصورة البخـل لـدى بعـض الأقوام بصورة اللمحة الدالة.

الخاتمة:

١- اظهر البحث الأثر الواضح لقصة الخليل (ع) في الموروث الأدبي ولم يقتصـر التـأثير علـى الشعر ، بل تعدى ذلك ليؤثر في المؤلفات التي اهتمت بعلم الأدب بكافة فروعه، وهذا يـدلل على ان القرآن الكريم هو الكتاب الأكثر تأثيرا في الثقافة اللغوية والأدبية، في مؤلفـات التـراث الأدبي .

٢- اظهر البحث تأثير قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام) ،قد تنوع وتعدد بدأ من الألفاظ وانتهـاء بالصور القرآنية، التي وظفها الشعراء لخدمة الغرض الشعري ،الذي ينظمون فيه القصيدة، وقد استفاد الشعراء كثيرا من أحداث القصة ،واختلفت هذه الاستفادة من شاعر إلى آخر.

٣- شخص البحث ظاهرة الانتقال الدلالي داخل النص الشعري وقد أشار البحث إلى مسألة مهمـة ،هي أن الشاعر عندما يأخذ جانبا من قصة إبراهيم الخليل كان توظيفه لهذا الجانب يختلـف عما ورد في القرآن الكريم، بسبب انتقال الدلالة فمثلا نار إبراهيم الخليل انتقل الشاعر بدلالتها ليوظفها في غرض الغزل ووصف مشاعر اللوعة والفراق بين المحبين.

٤- لاحظ البحث أن تأثير قصة إبراهيم الخليل في الشعر العربي كان على شكل إشارة أو تلميح، ولم يأت هذا التأثير بصورة مباشرة ، وربما يدلل هذا على قدرة الشاعرعلى تكثيف المعنى ،بسـبب طبيعة الشعر الذي يميل إلى الإيحاء والإيجاز ،وقد نجح الشعراء في توظيف اغلب أحداث القصة ،وفي مواضيع اجتماعية مختلفة، كالكرم والوفاء والصدق والإخلاص.

المصادر

القرآن الكريم

(١). اثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة(٩٢هـ - ٤٢٢هـ) ، د. محمـد شـهاب العاني،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد- ٢٠٠٢م.

(٢). أخبار النساء ، ابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مكتبة التحرير ، بغداد ،١٩٨٨م.

(٣). الإسلام والشعر ، د. سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، الكويت،١٩٧٣م.

(٤). الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، تحقيق:د.يوسف البقـاعي ،وغريـد الشـيخ، مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعات،بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

(٥). أنساب الأشراف ،للبلاذري، دار صادر، بيروت – لبنان ، (د.ت).

(٦). البصائر والذخائر،أبو حيان التوحيدي،تحقيق:د.إبراهيم الكيلاني ،مكتبة اطلس ومطبعة الإنشاء،دمشق،١٩٦٤م.

(٧). بلوغ الارب في علم الادب ، المطران حرمانوس فرحات (ت١١٤٥هـ)، تحقيق :انعام فـوّال ، دار المشـرق ،ط١ ،بيروت – لبنان ،١٩٩٠م.

(٨). جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق : إبراهيم الابيـاري ، القـاهرة ، دار الكتاب المصري ،١٩٨٩م.

(٩). ديوان ابن دراج القسطلي ،تحقيق: د.محمود علي مكي ،ط٣،بيروت،المكتب الإسلامي ،١٩٦٩م.
(١٠).ديوان ابن المعتز، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، ط١ ،بيروت ،١٩٩٥م.
(١١).ديوان ابي تمام ،تحقيق :د. محي الدين صبحي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.
(١٢).ديوان امية بن ابي الصلت ، جمع وتحقيق :د. عبد الحفيظ،دمشق ،ط٢ ،١٩٧٧م.
(١٣).رسائل الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٦٤م.
(١٤).الرمز في قصة إبراهيم ، احمد العبيدي ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ،دائرة معارف الفقه الاسلامي ، مطبعة محمد ،ط١ ،١٩٩٨م.
(١٥).الشعر والدين ، فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي، د. كامل فرحان صالح، دار الحداثة ،لبنان – بيروت ،ط١ ،٢٠٠٥م.
(١٦).الصافي في تفسير كلام الله،الفيض الكاشاني(ت١٠٩١هـ)،دار المرتضى للنشر ، مشهد ،ط١،(د.ت).
(١٧).
(١٨).علل الشرائع ، للشيخ الجليل الصدوق (ت٣٨١هـ) تحقيق محمد صادق ،دار الكتاب الاسلامي ، ط١ ،مطبعة اسوة ،٢٠٠٤م.
(١٩).عيون الأخبار ،لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه (ت٢٧٦هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،١٩٢٥م.
(٢٠).في الأدب الجاهلي،د.طه حسين،مطبعة الحلبي ، مصر،١٩٣٧م.
(٢١).القصص القرآني في الشعر الأندلسي ، الدكتور احمد حاجم الربيعي ،ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م .
(٢٢).لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد صادق العبيدي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان ،ط٣ ،(د.ت).
(٢٣).المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لأبي الفتح ضياء الدين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ (ابن الأثير الموصلي)(ت٦٣٧هـ)، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،١٩٩٩م.
(٢٤).مجالس ثعلب، أبو العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ،شرح وتحقيق :عبد السلام محمد هارون ،دار المعارف بمصر،١٩٤٨م.
(٢٥).مجلة المورد ،بحث بعنوان(أبو عامر بن مسلمة،شعره)،صنعة:هدى شوكت بهنام،المجلد(١٢)،العدد(٤)،لسنة١٩٨٩م.
(٢٦).المستطرف في كل فن مستظرف،الابشيهي (ت٨٥٤هـ)،تحقيق:إبراهيم صالح،دار صادر، بيروت– لبنان،ط١ ،٢٠٠٤م.
(٢٧).المفصل في تاريخ العرب، الدكتور جواد على ،مطبعة شريعت،منشورات الشريف الرضي ،ط١ ،١٣٨٠هـ، .
(٢٨).ملة أبيكم إبراهيم ، مجموعة مؤلفين،دار التوحيد، ط١،جمهورية إيران الإسلامية،١٩٨٢م.
(٢٩).منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ابن الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تحقيق:محمد الحبيب ابن الخوجه ،دار الكتب الشرقية – تونس ،١٩٦٦م.
(٣٠).مواهب الرحمن في تفسير القرآن ،السيد عبد الأعلى السبزواري ، مؤسسة المنار ،ط٣، إيران ،١٤١٨هـ.
(٣١). نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ،تصحيح احمد الزين،مطابع كوستاتسوماس وشركاه،القاهرة،(د.ت).

Abstract

Following the Qur'an in the entire life of Arab social, political and economic, as well as intellectual matters of concern to their daily lives, in particular, and poetry was a fertile field in which Arabs scramble to show their technical and rhetorical, especially as they are known for their Eloquence of the nation say the art of beautiful and moving.

As for the idea of this research are based on knowledge of technical and substantive impact of one of the methods of the Koran, is this method in the art of the noble

Qur'anic story, was chosen on the story of Prophet Abraham (p) the fact that this story had appeared in several positions from the Koran, has been characterized great influence in the Arab literary heritage has tried to follow the substantive and technical references and to seek the impact of the Koran, and try to uncover the nature of this impact, by tracking these signals in the books of Arab literature, as well as collections of ancient poets.

The nature of the material required to be on Mbgesin, addressed the first topic: substantive effect, and the second topic: the impact of dealing with the technical story of the blessed As for the research methodology was adopted research approach for the purpose of comparative analysis to identify salient features and technical issues that have affected the authors and poets and led them to employ the text on Quranic story of Prophet Abraham (pbuh).

It should be noted that the research pointed to the importance of the symbol in this story has taken the symbol dimension Tagged, which was a complete turning points in the story, this seal was followed by summarizing the main findings, and it must be noted that the study had diverse sources of literature Arab books to interpretation, as well as dictionaries and wrote critical studies and rhetoric that had an interest in Koranic story.